

الاداء التمثيلي في تجربة اوجينيا باربا والمسرح الانثروبولوجي..

يعد المخرج المسرحي (باربا) اول من اطلق مصطلح انثروبولوجيا المسرح متأثرا بأستاذه (كروتوفسكي) والانثروبولوجيا هي علم دراسو الاناسة تعني بدراسة الثقافة الاجتماعية , وتختلف المجتمعات في ثقافتها الاجتماعية وعلى اساس هذا الاختلاف وجد (باربا) مسرحه معتمدا لغة الجسد , لإيمانه ان لكل مجتمع ثقافي جسد تختلف تاريخيا عن الجسد الاخر ليشكل هو الاخر علامة من علامات المسرح العالمي بمفهومها الانثروبولوجيا.

لقد عرف مجال (الانثروبولوجيا المسرحية) على انه دراسة التصرفات البيولوجية والثقافية للإنسان , وهو في حالة العرض يستخدم حضوره الجسدي والذهني حسب مبادئ مختلفة من تلك التي تتحكم بحبائه اليومية , وبناء على ذلك تركز عمل باربا في تدريب الممثل وادائه وعلى مفهوم حضور الممثل وعلى الاخص في المرحلة التي تسبق التعبير لديه , وقد اطلق عليه ما بعد التعبير , وقد استوحى (باربا) فكرة الجسد من (مارسيل موس) الذي كتب دراسة حول تقنيات الجسد , ان تقنية الجسد وحركته مشروطة بالظروف المحيطة , الثقافية والاجتماعية التي تتحكم بها , وهذا هو مجال انثروبولوجيا المسرح بالنسبة له , وهو مبدء موجود في المسرح الشرقي التقليدي.()

وفي مفهوم باربا لأنثروبولوجيا المسرح بانها , دراسة اجتماعية وحضارية في سلوك الانسان في موقف ادائي , وان مسرح باربا يعيش على الهوامش , او الحواف وغالبا ما يوجد خارج حدود المراكز والعواصم الثقافية , ويؤكد باربا ان مفهومه للمسرح الثالث هو من العالم الثالث ولكنه يؤكد ايضا ان هذا المفهوم المشترك يعود الى التفرقة العنصرية , الموجودة في كل منهما , وهم جميعا يعيشون في موقف يتسم بالتفرقة العنصرية , سواء على المستوى الشخصي ام الثقافي , ام المهني . ام الاقتصادي , ام السياسي , ويصل باربا الى التفرقة العنصرية هي خاصية تعرف ب(المسرح الثالث.())

طرح (باربا) مفهوم رفض فكرة الاسلوب او النمط الواحد لتشكيل العمل المسرحي , ودعا الى ضرورة البحث عن مساحة التنوع الثقافي من خلال اعتماده الفرجة الشعبية , واكد على ان المسرح لا بد له ان يفتح على التجارب والاساليب الاخرى , لغرض مزج الاساليب المختلفة بالأداء , وبهذا الطرح يكون الانفتاح امام التنوع والتعدد الثقافي حالة ايجابية , فقد اعتمد دراسة اسلوب الاداء الشرقي , وقد دفع (باربا) بدراسة اشكال الاداء الاسيوي , وبين مسرح (اودن) في دراسة الاشكال الثقافية للمجتمعات الاسيوية المهمشة , مما ادت تلك الدراسة الى تطوير تدريبات مسرحه الثالث.()

يرى الباحث أن اعتماد (باربا) على تعدد ثقافات المجتمع الاسيوي الذي اعتمده في دراسة) المسرح الثالث (واعتماده الجسد في المسرح الشرقي بتعدد ثقافات الشرق , وارتباط هذه التعددية الثقافية في الاداء المسرحي لممثليه , يتنوع لديه الاداء في الاساليب ,كون المسرح الشرقي هو الاخر متعدد الثقافات والاساليب , مما يحقق فضاء لخلق (الهجنه في الاداء التمثيلي , معتمدا على اساليب متعددة دخيله على ثقافته الادائية , متأثرة بأداء تلك الاساليب وتنوعها , واعتماده على اظهار اسلوب ادائي جديد مع المحافظة على هوية الاداء الذي يعتمده ممثليه , وهذه) الهجنه (تتمثل بقضية تنوع الثقافات وتعددتها , فعندما تتلاقح تلك الاساليب الادائية فيما بينها وتشتبك في الاداء تحقق اسلوبا) هجينا (ناتجا من تعدديتها .

اتخذ (باربا) من ظاهرة كوميديا الفن التي ظهرت في ايطاليا في القرن السادس عشر ,صيغة للعلاقة التي تتولد بين الممثل في ادائه والمشاهد , في تأكيد لسمة التأثير المتبادل بين الممثل في ادائه والمتلقي , ومن هنا تبلورت هذه الظاهرة نتيجة لحاجة بعض الافراد من المهمشين والمضطهدين , اللذين استطاعوا ان يحولوا من خلال تجمعهم هذا الشكل المسرحي الشديد الخصوصية الى اسلوب يدافعون من خلاله عن انفسهم , وكان هذا بمثابة النهج الذي سار عليه باربا عند تأسيسه بما اسماه بالمسرح الثالث.()

كانت ابحاث باربا وفرقته حول طبيعة فن التمثيل وفق اطر مفاهيمية والتي تكونت لديه بفضل تأثره بالعديد من التيارات في المسرح الغربي خاصة) الفريد جاري (والدادائين , والسرياليين , والعبث , ورقص ما بعد الحداثة , كما كان باربا يعتبر نفسه امتدادا للرمزين , والتعبيرين , انه يسير على نهج) برخت (لاسيما في مفهومه الاجتماعي للمسرح , وهو امتداد لكافة المجتمعات المسرحية التي ظهرت في القرن العشرين , والتي كانت تنادي بانواع اخرى من المجتمعات , وبأنماط حياة اخرى مثل مسرح الشارع , ومسرح الحداثة , والمسرح البيئي , والمسرح الحي , ومسرح المقهورين , فضلا عن تاثره المباشر بكل من , مايروهولد , وجاك كوبو , وكولدن كريك , وادلوف ابيا , وماكس راينهارت , وارنو , والباليه الكلاسيكي هذا الى جانب تاثره بتقنيات المسرح الشرقي.()

يرى باربا ان المسرح عبارة عن تظاهر , ويقصد بالتظاهر , هو قيام الممثل بفعل جسدي دون وسائط , وبطريقة تخلو بين الجدلية بين الممثل وبين جسده , من ناحية وبينه وبين لغات خشبة المسرح المتعددة من ناحية اخرى , وهو ما يطلق عليه باربا ب (الجسد المتحرر)ومن ثم فان هذا التظاهر يعني الابلاغ حيث ان الممثل يعطي لنفسه شكلا , ويعطي شكلا لما يريد ابلاغه من خلال التظاهر واعطاء صورته لطاقته , وهو يرى ان الاستخدام الاجتماعي للجسد هو نتاج ثقافة معينة , تمكنت منه واستعمرته , لذا فان الجسد لا يعرف سوى تلك التوظيفات والاستخدامات التي استعمر من اجلها داخل ثقافته , ومن هنا جاءت دعوته الى الانسلاخ من هذا التوظيف المفروض للجسد. ()

يتناول ممثلو (باربا) الاداء الجسدي عن طريق عرض الافعال الجسمانية , واجزاء الجسد , والطريقة التي يتم بها تقسيم الفعل الواحد الى مقاطع صغيرة مترابطة فيما بينها , ويشبه باربا هنا التناول بلوحة من التشريحات , التي غالبا ما توجد في الكتب القديمة والتي ترتبط بالتشريح الانساني , لهذا يطلق على مسرحه في بعض الاحيان المسرح التشريحي , وهو هنا لا يتناول جسد الممثل فحسب بل انه يشمل افعاله , وعلاقة هذه الافعال مع الاحداث الاجتماعية.()

يرى الباحث ان (باربا) لم يعتمد اسلوبا واحدا في الاداء لجسد الممثل , بل اعتمد اساليب متعددة بتعدد ثقافات المجتمعات التي دعا لها في تأكيده على) الجسد المتحرر (او) الجسد الانثروبولوجي (الذي يعمل وفق معيار ثقافات متعددة سوى كان ذلك بالأسلوب الأخرجي او بتأثره بتلك الثقافات , فهو في المحصلة النهائية يكون ناتج ادائي) هجين (وهذا ما يؤكد) هومي بابا (ان خلط تلك الاساليب يخلق) فضاء ثالث للتعبير (هذا الفضاء تكون او تشكل نتيجة اعتماد تلك الثقافات المتعددة التي اعتمدها) باربا (في مسرحه الانثروبولوجي.